الموقع الجيوسياسي لتركيا وأهميته في الاستراتيجية الغربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية

عبد القادر محمد علي

مركز إدراك للدراسات والاستشارات
آب/ أغسطس 2016

مقدمة

تتناول هذه الدراسة أن موقع تركيا الجغرافي وامتداداتها العرقية واللغوية والثقافية في محيطها الجغرافي والبشري، وما ينتج عن كل ذلك من تفاعلات وشبكة سياسات قائمة على التأثر والتأثير من العوامل الأساسية التي حددت الأهمية الجيوستراتيجية لتركيا في منظور المصالح الغربية، وما نتج عن ذلك من تحالف استراتيجي تركي مع المنظومة الغربية الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الآن، وإن لم تخل هذه العقود الطويلة من حالات توتر كانت تطرأ على العلاقة بين الطرفين، أو ما قد يبدو من تضاؤل أهمية تركيا بنظر حليفيها، لكن التطورات السياسية المتوالية كانت سرعان ما تثبت مفتاحية الموقع التركي للسياسة الغربية، وتقنع الطرفين بضرورة الحفاظ على أعلى درجات التعاون بينهما.

عبقرية الجغرافية.. موقع تركيا

شكلت تركيا أو منطقة الأناضول كما عرفت تاريخياً نقطة تقاطع للحضارات التي شكلت قلب العالم القديم، وإسطنبول كانت مركزاً لثلاث من أعظم الإمبراطوريات الرومانية والبيزنطية والعثمانية التي حكمت مناطق تمتد من حدود فيينا شمالاً إلى اليمن والسودان جنوباً، ومن مراكش غرباً إلى بحر قزوين شرقاً، ونتيجة لعوامل متعددة أصابها الوهن وبدأت بالتفكك والاضمحلال إلى أن أعلن مصطفى كمال أتاتورك إلغاء الخلافة 1922، الذي كان مقدمة لإعلان ميلاد الجمهورية التركية 1923.

وتتمتع تركيا بميزات جغرافية منحتها مكانة جيوستراتيجية هامة: فتوسطها لقارات العالم القديم وامتداد أراضيها بين آسيا (97%) وأوروبا (3%)، ووقوعها في قلب أوراسيا بالإضافة إلى حدود مشتركة مع 8 دول، كل هذا منحها القدرة على التفاعل مع محيطها تأثراً وتأثيراً، كما منحها بجانب ذلك إمكانيات كبيرة في حرية اختيار السياسات والتحالفات، ويزيد من أهميتها شواطئها الممتدة على ثلاثة بحار الأسود في الشمال والأبيض في الجنوب وبحر إيجة في الغرب، ولعل كبرى ميزات الموقع الجغرافي لتركيا وجود اثنين من أكثر مضائق العالم أهمية ضمن أراضيها؛ وهما مضيق البوسفور الرابط بين البحر الأسود وبحر مرمرة ، ومضيق الدردنيل الرابط بين بحر مرمرة والبحر المتوسط عبر بحر إيجة.

كما تتمتع تركيا في محيطها الجغرافي والبشري بمشتركات ثقافية ولغوية وتاريخية كبيرة، تمهد أمامها الطريق لصنع تحالفات سياسية، سواء مع دول ما يعرف بالعالم التركي الممتدة من غرب الصين إلى حدود أوروبا، أو مع منطقة البلقان التي تمثل العمق الأوروبي لتركيا العثمانية.

التحالف التركي الغربي في حقبة الحرب الباردة

خرج العالم بعد الحرب العالمية الثانية بتشكيل جديد للقوى اختفت منه القوى المهزومة ألمانيا وإيطاليا، وتراجعت قوى الاستعمار القديم فرنسا وبريطانيا، لتفسح المجال لتصدر القوتين العظميين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي اللتين دخلتا بعد هدوء المدافع في غمار الحرب الباردة.

وقد امتدت هذه الحرب بين 1946-1991 وشكلت حالة من الصراع السياسي والتوتر العسكري بين معسكرين: المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي (الناتو)، والمعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفييتي وحلف وارسو. ومن أبرز ما تميزت به هذه الحرب محاولة كل من الطرفين الحصول على مناطق للنفوذ السياسي والعسكري وتوسيعها، متى كان ذلك ممكناً، عن طريق التحالفات والمعاهدات. وفي هذ الإطار نشأت أهمية تركيا بالنسبة للولايات المتحدة والمنظومة الغربية بشكل عام؛ فقد رأت الولايات المتحدة وأوروبا في تركيا حاجزاً بشرياً وعسكرياً بينها وبين الاتحاد السوفييتي، ومهدت ظروف تركيا الداخلية والخارجية لقيام التحالف بينهما.

فبعد خروج الروس قوة عظمى من الحرب العالمية الثانية عاش الأتراك أعواماً من القلق نتيجة الخوف من الجار العملاق الذي ألغى في 19 آذار/مارس قبيل نهاية الحرب بأشهر معدودة 1945 "معاهدة الصداقة والحياد" التي كان أبرمها مع تركيا في 17 كانون الأول/ديسمبر 1925، كما طالب بإعادة تركيا إقليمي قارص و أردهان إليه واللذين كان قد تخلى عنهما بموجب معاهدة الصداقة والأخوة مع تركيا في آذار/مارس 1921، كما أن حلم الوصول إلى المياه الدافئة الذي راود كل القياصرة لم يفارق ستالين الذي "طالب بالحصول على قواعد عسكرية في منطقة المضائق، وتعديل معاهدة مونترو التي دخلت حيز التنفيذ في 9 تشرين الثاني/نوفمبر 1936، لتحدد نظام المرور عبر مضائق البحر الأسود، كما طالب بعقد معاهدة دولية للدفاع عن البحر الأسود"[1]، بالإضافة إلى عامل داخلي تمثل في خوف الأتراك من نشاط الحركات اليسارية المتنامي في البلاد.

وقد كان مبدأ ترومان 1947 فاتحة شراكة استراتيجية بين الطرفين لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا، وقد أقر مبدأ ترومان[2] "تقديم مساعدات عسكرية واقتصادية أمريكية بقيمة 400 مليون دولار"[3] لتركيا واليونان، إثر إعلان بريطانيا عجزها عن الوفاء بما تعهدت به لليونان من مساعدة في محاربتها للشيوعيين، فتقدمت الولايات المتحدة لسد الفراغ الذي خلفته بريطانيا بهدف منع الشيوعيين من الوصول إلى الحكم في شرقي المتوسط وتسربهم إلى تلك المنطقة، والحصول على منطقة نفوذ في البحر المتوسط .

وقد نتج عن هذا التحالف مجموعة من الخطوات اللاحقة ومنها:

أ- الدخول في الناتو

دخول تركيا في حلف شمال الأطلسي (الناتو) عام 1952 كان الخطوة الأكثر أهمية في تاريخ العلاقات التركية الغربية، حيث تحولت تركيا بذلك إلى جبهة الدفاع الجنوبية عن المصالح الأوروبية الأطلسية في مواجهة

---

[1] العلاقات التركية الروسية من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل، معمر فيصل الخولي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، الطبعة الأولى، 2014م، ص8.

[2] قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، أحمد سعيفان، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004، ص240.

[3] مذهب ترومان، موسوعة المعرفة، على الرابط : http://goo.gl/e2TYCE

الاتحاد السوفييتي، كما أنها تحولت من جهة أخرى إلى قاعدة عسكرية متقدمة للحلف في منطقة الشرق الأوسط التي كانت تشهد في ذلك الحين بروز وتزايد نفوذ القوى القومية واليسارية المعادية للغرب، بدءاً من ثورة 23 يوليو 1952 في مصر وما تلاها من ثورات مشابهة شكلت قلقاً كبيراً للمنظومة الغربية وحلفائها في المنطقة ذات الأهمية الاستراتيجية الكبرى من ناحيتي البعد الجيوستراتيجي وامتلاكها كبرى خزانات الطاقة العالمية.

وتركيا الآن تملك ثاني أكبر جيش في الناتو بعد الولايات المتحدة، وتنتشر فيها قواعد جوية تابعة للحلف وتستضيف كذلك مراكز تابعة لمنظومة الدفاع الصاروخي الأمريكية، كما أثير وجود صواريخ نووية أمريكية في البلاد[4].

(رادارات الدرع الصاروخي وبطاريات باتريوت وقواعد تستخدمها قوات أمريكية وأطلسية بإذن تركي) المصدر [5]

ب- الانضمام إلى لاتحاد الأوروبي

ونتيجة لتغيرات متعددة طرأت على الدولة العثمانية وأوروبا تحولت أوروبا تدريجياً إلى المثال لذي تعمل تركيا على احتذائه وتجهد أن تكون جزءاً منه، بدءاً بمرحلة التنظيمات، ثم ظهرت بأوضح صورها في التغيير الثقافي والسياسي الشامل الذي عمل كمال أتاتورك على القيام به إبان إنشاء الجمهورية وما بعدها، وانتهاء بمحاولتها الانضمام بشكل فعلي إلى المجموعة الأوروبية بتوقيع بروتكول أنقرة 1963، ومرت هذه الرحلة بمفاصل متعددة خلال نصف قرن من الزمن لم تتمكن فيها تركيا من التحول إلى عضو كامل العضوية في الاتحاد الأوروبي، وبالمقابل لم يغلق ملف قبولها بل بقي الملف في حالة مفتوحة بين الطرفين حرصاً من تركيا على تحقيق حلمها التاريخي بكل ما له من مكاسب، وحرصاً من أوروبا على أن لا تفقد حليفتها الاستراتيجية وما يجره عليهما التحالف من فوائد أمنية وسياسية واقتصادية.

كما أن تركيا بتماهيها التام مع السياسة الغربية ومصالحها في المنطقة مثلت الحليف الأقرب جغرافياً لإسرائيل، إلى نهاية العقد الأول من القرن الحالي على إثر توتر العلاقات بينهما نتيجة الاعتداء على سفينة

[4] Three western worries about Turkey, Marc Pierini, Carnegie Eupop,July 18,2016
http://carnegieeurope.eu/strategiceurope/?fa=64106

[5] Turkey: Background and U.S. Relations, Jim Zanotti, 5 October 2014, Congressional Research Service
https://www.fas.org/sgp/crs/mideast/R41368.pdf

مافي مرمرة.

ج- الانضمام إلى حلف بغداد والسنتو

كانت مرحلة الخمسينيات والستينيات مرحلة انتشار المد القومي واليساري المعادي للسيطرة الغربية وهيمنتها، والمتحالف مع الاتحاد السوفييتي، وتمكنه من الوصول إلى السلطة في عدد من الدول المحورية في الشرق العربي، وقد مثلت مصر ما بعد ثورة 23 يوليو رأس الحربة في هذا المشروع.

وفي مسعى من دول المعسكر الغربي لتطويق هذا المد والحفاظ على مصالحها ومصالح حلفائها في المنطقة، فقد عمدت إلى "التركيز على ما يسمى بالنطاق الشمالي أي سلسلة البلدان الممتدة بين تركيا والباكستان"[6]، حيث شكلت كل من تركيا والباكستان وإيران والعراق ثم المملكة المتحدة ما عرف بحلف بغداد أو "معاهدة الدفاع المتبادل والإنماء الاقتصادي" 1955، ووضع الحلف هدفاً له الوقوف في وجه المد الشيوعي في الشرق الأوسط، وبذلك استكمل المعسكر الغربي الطوق الذي أنشأه حول المعسكر الشيوعي؛ إذ يطوق حلف الأطلسي الاتحاد السوفييتي من الغرب، وحلف بغداد يطوقه من الجنوب، وحلف جنوب شرقي آسيا يطوق الصين والاتحاد السوفييتي في الشرق والجنوب الشرقي[7].

وبعد سقوط النظام الملكي في العراق بثورة 14 يوليو/تموز 1958 بقيادة عبد الكريم قاسم التي أعلنت قيام الجمهورية العراقية وانسحبت من الحلف، تبنى الحلف اسم CENTO اختصار (Central Treaty Organization)، ورغم فشله في وقف النفوذ الشيوعي فإنه استمر إلى عام 1979 حين حُل الحلف بسقوط نظام الشاه في إيران.

وقد أثبت هذا الحلف والتطورات التي رافقته وتلته بانتصار الثورة الإيرانية أهمية موقع تركيا ودورها في مواجهة المعسكر الشرقي، والحفاظ على المصالح الحيوية للمنظومة الغربية في الشرق الأوسط لا من جارها الشمالي فقط، ولكن أيضاً من جيرانها الجنوبيين في العالم العربي وإيران في مرحلة لاحقة.

وزاد سقوط الشاه وقيام نظام معاد للمصالح الغربية في طهران من الأهمية التركية في ميزان المصالح الغربية كقوة موازية للجمهورية الناشئة في إيران.

د- الثورة الإيرانية خصم جديد

شكلت تطورات الأزمة القبرصية ومواقف الأطراف المختلفة امتحاناً جدياً للعلاقات التركية الأمريكية، ولا سيما بعد انقلاب 1974 في اليونان، وبدء إجراءات التوحيد بين قبرص واليونان، والتدخل التركي المباشر عقب ذلك حماية للقبارصة الأتراك، وسيطرة تركيا على شمالي قبرص وإنشاء دولة "جمهورية شمال قبرص التركية".

دفع التحرك العسكري التركي جماعات الضغط اليونانية والأرمنية إلى التحرك داخل الولايات المتحدة الأمريكية للضغط على أنقرة، وهو ما أسفر عن إيقاف الولايات المتحدة شحنات الأسلحة إلى تركيا، وقيام الأخيرة في المقابل بخفض التسهيلات والامتيازات العسكرية لأمريكا في البلاد[8].

ورغم عودة العلاقات بينهما 1978 إلا أن قيام الثورة الإيرانية 1979 وإسقاطها الشاه حليف أمريكا الوثيق،

---

[6] قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية: مصدر سابق، ص374.

[7] حلف بغداد على موسوعة ويكيبيديا :https://goo.gl/Yh4GT7

[8] السياسة الخارجية التركية الاستمرارية-التغيير: عقيل سعيد محفوض، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، الطبعة الأولى، 2012م، ص229.

بالإضافة إلى إنشاء الجمهورية الإسلامية وإعلانها العداء للولايات المتحدة، كل هذا عجل من إصلاح هذه العلاقات؛ إذ وجدت الولايات المتحدة نفسها في حاجة إلى الحليف التركي ليوازن يوجه نفوذ إيران في المنطقة، وكان من نتائج ذلك قيام الجنرال كنعان إيفرين بانقلاب عسكري 1980 بتحريض أمريكي وبترتيب كامل مع الولايات المتحدة.

وقد قام الانقلاب بدور مزدوج داخلي وخارجي إذ عمد إلى تصفية القوى الشيوعية المعادية للولايات المتحدة، والتي كانت ناشطة في البلاد من جهة، وكذلك القوى الإسلامية المتأثرة بالتجربة الإيرانية والداعية إلى إقامة جهورية إسلامية على غرار الجمهورية الناشئة في إيران من جهة أخرى، أما في السياسة الخارجية فقد حول البلاد إلى طرف أساسي في احتواء وتطويق كل من إيران والعراق[9].

ونتيجة لهذا فقد تطورت العلاقات الاقتصادية والتجارية بين تركيا وأمريكا والتي كانت، على خلاف العسكرية، "ضعيفة جداً حتى الثمانينات من القرن العشرين، ثم تطور الأمر بتوقيع اتفاقيات الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي 1980"[10].

[9] لمزيد من التفصيل حول الانقلاب وظروف تركيا الداخلية قبله وبعده انظر: السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي، رضا هلال، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1419ه-1999م، ص139 فما بعد.

[10] السياسة الخارجية التركية الاستمرارية-التغيير: مصدر سابق، ص 230.

استمرار التحالف في حقبة ما بعد الاتحاد السوفييتي

مثل سقوط الاتحاد السوفييتي بزوغ عالم جديد تبوأت فيه الولايات المتحدة مكانة الصدارة، وكان ذلك السقوط المدوي فرصة لكثير من الدول لمراجعة استراتيجياتها ومفاهيمها ورؤاها الأمنية والاقتصادية والسياسية، وفي تلك الأجواء ساد شعور بأن سقوط الاتحاد السوفييتي أسقط معه أهمية الدور التركي بالنسبة لحلفائها الغربيين، غير أن تطورات الأحداث في أكثر من محور أثبتت من جديد الحاجة الغربية لتركيا، ليس فقط كموقع جغرافي ولكن أيضاً كامتدادات عرقية ولغوية وثقافية وتاريخية في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز والبلقان التي تعرضت لحالة من الفراغ الذي خلفه الانسحاب السوفييتي ونشوء دول جديدة في تلك المناطق، رافقه نشوء صراع بين قوى متعددة لسد هذا الفراغ، ولا سيما في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز الغنية بمصادر الطاقة الطبيعية من نفط وغاز.

وقد عملت الولايات المتحدة على التشجيع الحذر[11] لتركيا على الدخول إلى منطقة آسيا الوسطى حيث خلف انهيار الاتحاد السوفييتي ست دول خمس منها ناطقة بالتركية، وقد أرادت الولايات المتحدة من ذلك التشجيع حسر نفوذ روسيا التي كانت في حالة انكفاء كامل غارقة في مشاكلها الداخلية في مطلع التسعينيات، ومن جهة أخرى مواجهة إيران الطامحة إلى مد نفوذها إلى تلك المنطقة من خلال المذهب الشيعي الذي يجمعها بالعديد من القوميات حتى التي تتحدث التركية كالأذر الذين يشكلون فرعاً من الشجرة التركية لكنهم يدينون بالمذهب الشيعي، وبذلك وضع النموذج التركي العلماني الليبرالي كنموذج صالح للاقتداء به مقابل النموذج الإسلامي الإيراني، وبهذا الشكل كانت تركيا تمثل جسراً بين آسيا الوسطى والقوقاز وقيم الحضارة الغربية.

كما أن الاحتياطيات الهائلة من النفط والغاز كانت عامل جذب هاماً لكل الأطراف إلى تلك المنطقة، وهو ما سنعالجه في الفصل القادم[12].

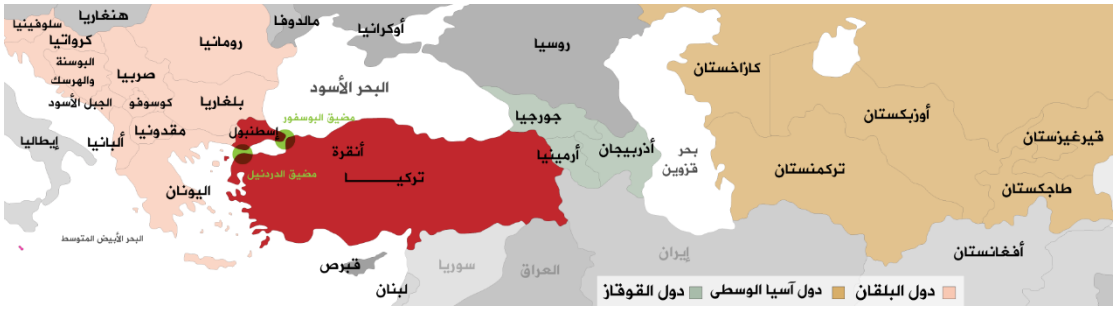

(موقع تركيا بين أقاليم: آسيا الوسطى والقوقاز والبلقان)

ولتركيا علاقات تاريخية واجتماعية وثقافية في منطقة البلقان وقد عمل الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة على الدعم الحذر لتركيا في نسج علاقاتها مع البلقان، فرغم حاجتهم إليها في مواجهة النفوذ الروسي المتمثل

[11] كانت الولايات المتحدة تحذر من تحول تركيا إلى دولة محورية في ذلك الإقليم خشية خروجها عن دور الدولة الوظيفية الذي تصر عليه، للمزيد انظر: الدور التركي في آسيا الوسطى الواقع والتحديات، عبد المعطي زكي، على الرابط http://www.asiaalwsta.com/CountryInfoDetails.asp?Id=245

[12] لتفاصيل أكثر عن علاقة تركيا بدول آسيا الوسطى ومراحلها انظر: في آسيا الوسطى والقوقاز..تأمين لجسور الطاقة، محرم أكشي، في: تركيا بين تحديات الداخل ورهانات المخارج، تحرير محمد عبد العاطي، إشراف مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2010، ص180 فما بعد.

بالقومية السلافية والكنيسة الأرثوذكسية، لكنها ترى أن تلك المنطقة جزء من أوروبا ولذلك فقد عملت على ضم دول من تلك المنطقة إلى الاتحاد الأوروبي.

غير أن أهم الأدوار التي أكدت تركيا من خلالها مفتاحيتها في الاستراتيجية الغربية كان دورها في الشرق الأوسط.

أهمية تركيا لاستراتيجية المنظومة الغربية في الشرق الأوسط

رغم التراجع الذي تُوقع للدور التركي في المنطقة بسقوط الاتحاد السوفييتي ومن ثم انتهاء دوره كحارس للحدود الجنوبية الشرقية للمنظومة الغربية، إلا أن تطورات الأحداث في الشرق الأوسط ما لبثت أن أعادت تركيا إلى بؤرة الاهتمام كقاعدة عسكرية متقدمة للناتو في الشرق الأوسط.

وكان احتلال العراق الكويت واندلاع حرب الخليج الثانية فرصة هامة لرفع أسهم تركيا وتأكيد أهمية موقعها الاستراتيجي في العمليات العسكرية لحلف تحرير الكويت، وهذا ما عبر عنه وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر في حديثه مع الرئيس التركي تورغوت أوزال، وهو يطلب استخدام الولايات المتحدة للقواعد العسكرية التركية في العمليات الحربية المتوقعة، "الأزمة الراهنة تكشف أهمية بلادكم الاستراتيجية ودورها في حلف الأطلسي"[13].

وفي إطار الحرب التي بدأت في ليلة 16-17 كانون الثاني/يناير 1991 فقد سمحت الحكومة التركية للقوات الأمريكية باستخدام قاعدتي إنجيرليك وباتمان التركيتين في مهاجمة العراق، كما أمد الأتراك المخابرات الأمريكية بالمعلومات التي لديهم عن القوات العراقية والمناطق العسكرية.

وبعد الحرب وافقت تركيا في تموز/يوليو 1991 على أن تتركز في مناطقها الجنوبية والشرقية وفي قواعد إنجيرليك، باتمان، وسيلوبي، قوة غربية (برية وجوية) للتدخل السريع تتألف من 3-5 آلاف جندي منهم 1000 جندي تركي، تعززها قوات أميركية محمولة جواً من الأسطول السادس في البحر المتوسط؛ وذلك بهدف ردع العراق، كما أُعلن، عن أن يشن في المستقبل عمليات عسكرية واسعة النطاق ضد الأكراد، بعد سحق الجيش العراقي للانتفاضة الكردية نيسان/أبريل 1991[14].

كما كانت تركيا فاعلاً هاماً في تطبيق استراتيجية الاحتواء المزدوج[15] التي وضعتها إدارة بيل كلينتون تجاه النظامين العراقي والإيراني، وفي سياسات الحصار الاقتصادي المتبعة على العراق بهدف تقويض النظام العراقي وإسقاطه. و"تم استخدام قاعدة إنجيرليك العسكرية الجوية مرات عديدة لفرض حظر الطيران على شمالي العراق وقصفه أحياناً"[16].

---

[13] حرب الخليج الملف السري: بيار سالينجر، أريك لوران، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، بيروت، الطبعة الحادية عشرة، 1414هـ-19993م، ص 199.

[14] لتفاصيل وافية عن المشاركة التركية في حرب الخليج الثانية انظر: تركيا وحرب الخليج الثانية، د.إبراهيم خليل العلاف، على الرابط: http://wwwallafblogspotcom.blogspot.com.tr/2013/06/blog-post_9201.html

[15] لتفصيل أكبر عن سياسة الاحتواء المزدوج انظر: ما الذي تعنيه سياسة الاحتواء المزدوج، وليام كوانت، جريدة الحياة، 1993/7/19 على الرابط: http://goo.gl/gbAZpw

[16] مع الولايات المتحدة ..مصالح استراتيجية متبادلة، خليل العناني، في: تركيا بين تحديات الداخل ورهانات المخارج، تحرير محمد عبد العاطي، إشراف مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2010، ص226.

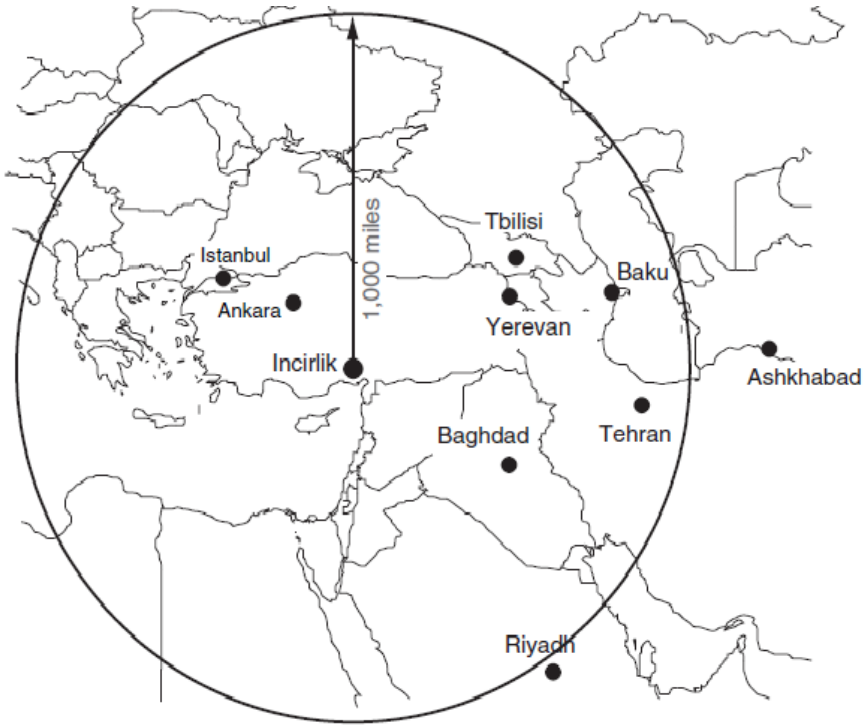

المجال الجغرافي لعمل قاعدة إنجيرليك العسكرية في تركيا ، المصدر:[17]

وقد عملت تركيا على الاستفادة من هذه المحورية لدورها في الخطط الأمريكية في الشرق الأوسط على صعد عدة اقتصادية وعسكرية وسياسية، غير أن ما يهمنا بحسب نطاق هذه الدراسة هو محاولتها الاستفادة من النفوذ الأمريكي في دول الاتحاد الأوروبي لإنجاز انضمامها إلى النادي الأوروبي، ورأت الولايات المتحدة مصلحة لها في إنشاء ثقل حليف لها يتألف من تركيا ودول أوروبا الشرقية التي ستنضم إلى الاتحاد يعمل على إحداث توازن استراتيجي مقابل القوى التقليدية المحركة له كبريطانيا وألمانيا وفرنسا، وقد أكد الرئيس الأمريكي الاسبق جورج بوش"الأب" خلال زيارته إلي أنقرة تموز/يوليو 1991 أن "تركيا بعد مرور عقد علي تبنيها لحكومة حرة أصبحت نجماً صاعداً في أوروبا وهي بلد متحول اقتصادياً وسياسياً؛ لذلك لا ينبغي أن تثار الشكوك حول استحقاق دخولها الاتحاد الأوروبي واتحاد غرب أوروبا. وأنها يمكن أن تعتمد علي التأييد القوي للولايات المتحدة في هذا الشأن"[18].

وبعد الحادي عشر من سبتمبر/أيلول زادت أهمية تركيا في إطار ما سماه الرئيس بوش "الابن" بالحرب عل الإرهاب، وقد كانت الاستجابة التركية سريعة ومباشرة "حيث قامت بتسهيل استخدام أراضيها ومجالها الجوي للقوات الأمريكية لبدء الحرب على أفغانستان تشرين الأول/ أكتوبر 2001"[19].

وقد استفادت الولايات المتحدة من وجود دولة مسلمة في تحالف الحرب على أفغانستان في تحسين صورة الحلف ونفي صورة الحرب الدينية عن عملياته، كما ساهمت تركيا بعد ذلك بدور كبير في قوات الدعم

[17] Zalmay Khalilzad, A Strategic Plan For Western-Turkish Relations, in Zalmay Khalilzad, Ian Lesser and F.Staphen Larrabe, The Future Of Turkish-Western Relations: Toword a Strategic plan, Santa Monica, CA: Rand, 2000, p.86

[18] انظر: حرب الخليج الثانية عام 1991 جعلت تركيا للمرة الأولي عنصراً أساساً في أزمة الشرق الأوسط، 2012/2/12، على الرابط: http://www.azzaman.com/?p=1758

[19] مع الولايات المتحدة ..مصالح استراتيجية متبادلة: مصدر سابق، ص142.

والإسناد (إيساف) التابعة للناتو، من خلال إرسال 1200 جندي وتقديم العون اللوجيستي والتدريبي للجيش الأفغاني[20].

وبعد تولي حزب العدالة والتنمية السلطة في البلاد عام 2002 بتوجهاته الجديدة في صياغة نظرة تركية جديدة إلى تركيا وإلى الخارج، وتحويل تركيا من دولة جسر إلى دولة مركز في إقليمها ثم في العالم، وانتهاج سياسة داخلية تقوم على النهوض بالاقتصاد ودعم الحريات، وتحييد المؤسسة العسكرية باستخدام معايير القبول في الاتحاد الأوروبي، وسياسة خارجية تقوم على سياسة تصفير المشاكل مع الجيران وتوسيع النفوذ التركي في الدوائر الثلاثة المعروفة باستخدام وسائل القوة الناعمة، والمحافظة على التحالفات القديمة مع الغرب مع فتح نوافذ وأبواب جديدة لنشاط السياسة الخارجية التركية في الإقليم والعالم.

وقد أثار صعود هذا الحزب ذي الجذور الإسلامية لقياداته توجساً في الدوائر الغربية، كما شكل رفض مجلس النواب التركي السماح للقوات الأمريكية باستخدام القواعد العسكرية التركية لإقلاع الطائرات في حرب احتلال العراق 2003، شكل هذا الرفض صدمة غير متوقعة للطرف الأمريكي، لكن لغة المصالح ما لبثت أن حكمت العلاقة من جديد، ورأت الولايات المتحدة ضرورة الحفاظ على تحالفها الاستراتيجي مع أنقرة لأسباب متعددة منها:

- أن السياسة الخارجية التركية القائمة على العمل على المشتركات مع الجيران والعمل على تصفية المشاكل فيما بينها أو تحييدها على الأقل، مع الحفاظ على تحالفاتها المباشرة مع المنظومة الغربية وإسرائيل، هذه السياسة تهيئ للولايات المتحدة نوافذ خلفية تستطيع الاستعانة بها في عدد من في ملفات المنطقة العالقة، كالوساطة بين إيران والمجتمع الدولي بشأن برنامجها النووي، والوساطة بين سوريا وإسرائيل، والوساطة بين الشيعة والسنة في العراق.

- أهمية تركيا في خرائط الطاقة إلى أوروبا عبر خط باكو تبليسي جيهان من آسيا الوسطى، ووضعه بديلاً عن الخط الروسي العابر من أوكرانيا.

- تحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية من خلال حلفها مع حكومة ديمقراطية إسلامية.

- دعم النموذج التركي الإسلامي القائم على موائمة قيم الحضارة الغربية مع القيم الإسلامية في مواجهة الحركات الإسلامية السنية ومشاريعها "المتطرفة" بحسب الرؤية الأمريكية من جهة، والمشروع السياسي الشيعي المدعوم من إيران من جهة أخرى.

- خلق توازن استراتيجي تركي إيراني بعد الفراغ الذي أحدثه سقوط صدام حسين، وإيجاد منافس حقيقي للنفوذ الإيراني في العراق والمنطقة العربية، والمحافظة على وحدة العراق باستخدام الفزاعة الكردية.

- الاستفادة من القواعد العسكرية التركية في عملية الإمداد الفني واللوجستي للقوات الأمريكية في العراق.

- كانت الولايات المتحدة ترى أن تمتين العلاقة بين أنقرة ودمشق مفيدا في محاولة إنجاز ما سمي بفك الارتباط بين الأخيرة وطهران، أو على الأقل إيجاد شراكة تركية سورية موازية للشراكة الإيرانية السورية.

وقد مرت العلاقات التركية الأمريكية بامتحان جديد على أثر متغيرات منها: النزاع الإسرائيلي التركي إثر انتقاد تركيا العلني للسياسيات العدوانية الإسرائيلية في غزة ثم حادثة أسطول الحرية 2010، ثم اندلاع الربيع

[20] مع الولايات المتحدة.. مصالح استراتيجية متبادلة: مصدر سابق، ص142.

العربي الذي تفاوتت فيه مواقف الطرفين من بعض الملفات ولا سيما في سوريا حيث نادت بتركيا بتسليح المعارضة المسلحة السورية لإسقاط النظام السوري، وقوبل هذا برفض أمريكي، كما طالبت بإنشاء منطقة آمنة لحماية المدنيين من القصف ولتكوين قاعدة خلفية للثورة السورية والذي جوبه بالرفض هو الآخر، وأعطت الولايات المتحدة الحرب على الإرهاب المتمثل في داعش والفصائل الإرهابية، بحسب تصنيف واشنطن، أولوية على الحرب على النظام السوري، غير أن كل هذه التطورات رغم أنها حاولت تهميش الدور التركي لكنها أثبتت من جانب آخر أهمية موقع تركيا في إمكانية تنفيذ الاستراتيجيات الأمريكية في المنطقة؛ فالحرب على الإرهاب مثلاً لم تكتمل أركانها إلا بسماح تركيا باستخدام الولايات المتحدة لقاعدة إنجيرليك التركية.

وقد اتضحت أهمية تركيا أيضاً في كونها أصبحت سداً بين موجات اللجوء الناتجة عن الأوضاع المأساوية في سوريا والعراق وبين القارة الخضراء، وكونها سداً لا يعني أنها أغلقت البوابات بشكل كامل، بل تحول اللاجئون إلى ورقة سياسية للضغط على الاتحاد الأوروبي وما نتج عن ذلك من توقيع اتفاقية في آذار/مارس 2016 بين الطرفين، نصت على تضييق تركيا على شبكات تهريب اللاجئين، واستقبالها لعدد من المهاجرين الشرعيين المعادين إليها من أوروبا، مقابل امتيازات أهمها 3 مليارات يورو وسفر المواطنين الأتراك إلى الاتحاد الأوروبي دون تأشيرة دخول[21].

[21] بنود الاتفاق الأوروبي التركي بشأن اللاجئين، الجزيرة، 2016/3/19، http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2016/3/19/

تركيا عقدة خطوط الطاقة

يعد الاتحاد الأوروبي أحد أكبر المستهلكين للطاقة في العالم، ويقابل ذلك انخفاض موارد الطاقة الطبيعية لديه واضطراره من ثم إلى الاعتماد الدائم على الاستيراد؛ ممّا يعرضه أحياناً لتهديدات في أمن الطاقة تتعلق بالدول المصدرة أو دول العبور نتيجة أسباب سياسية أو اقتصادية أو اضطرابات أمنية.

ومن أبرز الأمثلة على هذه التهديدات الوضع غير المستقر في ليبيا منذ سنوات ممّا هدد إمدادات الغاز لجنوب أوروبا ولا سيما إيطاليا، وكذلك تجاذبات العلاقة الروسية الأوروبية في إطار صراعات النفوذ والقوة بينهما؛ فروسيا التي تعد أحد أكبر عمالقة الطاقة في العالم كانت تصدر للاتحاد الأوروبي 27% من احتياجاته النفطية و50% من حاجاته من الغاز، وقد عملت روسيا على استخدام إمدادات الطاقة ورقة ضغط مؤثرة في أكثر من مرحلة وبأكثر من طريقة وتجلى ذلك في أزمتي 2006 و2013.

ونتيجة لذلك فقد عمل الاتحاد الأوروبي على سياسة تنويع مصادر الطاقة للخروج من احتكار المصدرين ولا سيما روسيا لسوقه، فاتجه إلى بلدان آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين وجنوب القوقاز لما تحتويه من مصادر طاقة هائلة من جهة، ولحالة الاستقرار العام التي تتمتع بها المنطقة من جهة أخرى، ولطبيعة العلاقة الخالية من المنافسة بين الطرفين من جهة ثالثة، ومن هنا فقد بدا موقع تركيا فائق الأهمية كعقدة طاقة يمر بها عدد من خطوط أنابيب الغاز والنفط من آسيا الوسطى القوقاز والشرق الأوسط، ومحتملاً من روسيا، إلى أوروبا، وقد بدأ العمل على هذه السياسة مبكراً من خلال خط أنابيب باكو-تبليسي-جيهان الذي ينقل النفط الأذري إلى أوروبا عبر جورجيا ثم ميناء جيهان التركي، ويبلغ طوله 1776كم وبدأ العمل فيه في 10 أيار/مايو 2005 بطاقة مليون برميل يومياً، وكان الهدف منه تخفيض الاعتماد على نفط الشرق الأوسط.

ويمر من تركيا خط أنابيب لنقل النفط العراقي إلى الأسواق الدولية من خلال ميناء جيهان التركي، وقدرت إدارة معلومات الطاقة الأمريكية (EIA) أنّ ما معدله 550 ألف برميل من النفط الخام أُرسِلت بشكل يومي إلى ميناء جيهان جنوبي تركيا في شهر أيار/مايو من عام 2015.

وفي مواجهة الاستعمال الروسي لورقة الطاقة عمدت القوى الغربية إلى إنشاء مشاريع بديلة؛ من أهمها مشروع الممر الجنوبي الذي بدأ العمل به 2014، والذي يضم عدداً من خطوط الطاقة ومن المقرر دخوله الخدمة عام 2018 بنقله كمية مبدئية تبلغ 16 مليار متر مكعب من الغاز من أذربيجان عبر جورجيا وتركيا واليونان إلى أوروبا. ومن المقرر أن يتمكن من نقل 23 مليار متر مكعب من الغاز سنوياً بحلول عام 2023، و31 مليار متر مكعب بحلول عام 2026، وسينقل خط أنابيب جنوب القوقاز الغاز الطبيعي من نقطة البداية في سانجاشال التي تقع في جنوب باكو إلى الحدود التركية الجورجية، حيث سيتم ربطه بمشروع خط الأنابيب الذي يمر عبر الأناضول (TANAP) الذي يعبر تركيا، للاتصال بخط الأنابيب الذي يمر عبر البحر الأدرياتيكي (TAP)على الحدود الغربية لتركيا مع اليونان[22].

السيل التركي: اتفقت موسكو وأنقرة في عام 2014 على بناء خط أنابيب لنقل الغاز الروسي إلى تركيا عبر قاع البحر الأسود ومنها إلى اليونان ثم جنوبي أوروبا، ويتوقع أن تبلغ قدرته التمريرية نحو 63 مليار متر مكعب من

[22] إدارة معلومات الطاقة الأمريكية: تركيا مركز لنقل النفط والغاز في المنطقة، http://www.turkpress.co/node/10884

الغاز سنوياً[23]. وتوقف العمل في هذا المشروع بعد توتر العلاقات بين روسيا وتركيا في كانون الأول/ ديسمبر 2015، غير أن المحادثات بشأنه ما لبثت أن بدأت بعد المصالحة بين البلدين تموز/يوليو 2016[24].

(خطوط الطاقة العاملة والمخطط لها العابرة من تركيا بحسب خريطة في موقع وزارة الخارجية التركية، الأحمر: خطوط الغاز الطبيعي، الأحمر: خطوط الغاز الطبيعي المخطط لها، الأخضر: خطوط النفط) المصدر[25]:

كما أن عقد الاتفاق النووي الإيراني 2015 بين إيران ومجموعة 5+1 قد يفتح الطريق أمام تصدير الغاز الإيراني إلى الأسواق الأوروبية المتعطشة عبر الخطوط المارة من تركيا[26]، وكذلك تركمنستان صاحبة رابع أكبر احتياطيات الغاز العالمي قد تعمل على تصدير غازها إلى أوربا عبر إيران أو أذربيجان[27]، وفي النهاية لا بد من المرور عبر تركيا، بجانب خط نوباكو العملاق الذي قد يستأنف العمل به حال انتهاء الخلافات حول نفط وغاز بحر قزوين والذي سيمر من تركيا كذلك.

كما أن الكشف عن احتياطيات كبيرة من الغاز في شواطئ المتوسط الشرقية ورغبة إسرائيل في تصدير الغاز إلى الأسواق الأوروبية عبر تركيا كان من أسباب إعادة تطبيع العلاقات التركية الإسرائيلية.

ومن جانب آخر فكل هذه المشروعات تلبي رغبتين تركيتين: الرغبة الأولى هي تغطية الطلب المحلي لتركيا التي تعتمد على استيراد 90% من احتياجاتها من الغاز والنفط، وكذلك تثبيت مكانتها كعقدة جيوستراتيجية لمرور الطاقة إلى أوروبا والولايات المتحدة من خلال حلفاء متعددين كآسيا الوسطى والقوقاز والشرق الأوسط وربما روسيا في مرحلة لاحقة.

[23] "غازبروم" مستعدة لمباحثات حول السيل التركي، https://arabic.rt.com/news/829735- /

[24] موسكو: حريصون مع أنقرة على بحث "السيل التركي"، https://arabic.rt.com/news/834205-

[25] Turkey's Energy Profile And Strategy, http://www.mfa.gov.tr/turkeys-energy-strategy.en.mfa

[26] خبير تركي: "تاناب" هو الأنسب لنقل الغاز الطبيعي وليس "السيل التركي"، http://www.turkey-post.net/p-50060/

[27] تركيا وجيوبوليتيك الطاقة: الخيارات المحتملة بعد الأزمة الأوكرانية، تامر بدوي، مركز الجزيرة للدراسات، 2014/6/10 http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2014/07/20147894919298391.html

خلاصة

- مثلت تركيا منذ النصف الثاني للقرن العشرين ركناً أساسياً من أركان تنفيذ استراتيجات المنظومة الغربية في الشرق الأوسط، ومثلت حاجزاً عسكرياً وبشرياً بين المنظومة الغربية والاتحاد السوفييتي من جهة، وعامل صد لتأثير الأخير في منطقة الشرق الأوسط من جهة ثانية، وأخيراً عامل توازن مع إيران ومشروعها السياسي بعد الثورة الإيرانية.

- نتج عن انخراط تركيا في حلف الناتو وارتباطها بمعاهدات عسكرية مع الولايات المتحدة وجود عسكري غربي مكثف في الأناضول من خلال عدد كبير من القواعد أهمها قاعدة إنجيرليك جنوبي البلاد، وهو رصيد هام لتركيا وورقة ضغط لها على حلفائها.

- بعد سقوط الاتحاد السوفييتي قامت تركيا بدور هام في الحروب الأمريكية في المنطقة بدءاً بحرب الخليج الثانية، والحرب على أفغانستان في إطار ما أسمته الإدارة الأمريكية الحرب على "الإرهاب"، كما قامت بدور الجسر بين الغرب ومناطق آسيا الوسطي والقوقاز الجسر السياسي أولاً ثم جسر الطاقة لاحقاً.

- تحولت تركيا الآن إلى عقدة لخطوط الطاقة من منابعها في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى والقوقاز وربما روسيا مستقبلاً، إلى الأسواق الأوروبية والأمريكية، ممّا حولها إلى صنبور للطاقة ارتقت به من حالة المستهلك إلى منزلة الشريك.

- حققت تركيا من تحالفها مع الغرب مكاسب كبيرة عسكرياً واقتصادياً.

- المنظور الأوروبي للدور التركي كان يحدده دوماً في إطار الدولة الوظيفية الحارسة للمنظومة الغربية والمنفذة لسياساتها، دون كبير اعتبار لمصالحها الوطنية وأمنها القومي كما تجلى ذلك بعد أزمة الصواريخ الكوبية[28]، وحرب قبرص[29]، وأخيراً التهديد الخطير للأمن القومي التركي نتيجة الثورة المستمرة في جارتها الجنوبية سوريا ونشاط داعش والقوى الكردية على حدودها، والوضع المتفجر في العراق.

- لم تقم تركيا بمراجعة جدية لتحالفها مع الغرب وقواعد اللعبة فيه إلا بعد قدوم حزب العدالة والتنمية إلى سدة السلطة في البلاد 2002، والذي جاء بتصور مسبق لدور تركيا الخارجي، والذي نشط فكرة تحول تركيا من دولة جسر أو دولة طرفية إلى دولة شريكة للغرب ودولة مركز في الإقليم، ومن ثم في العالم من خلال القوة الاقتصادية المتنامية والقوة التركية الناعمة في أكثر من مجال.

- ونتيجة لهذه المنظورات المتناقضة للدور التركي نشأ الخلاف بين الطرفين في عديد من الملفات، ورغم أن تركيا لم تتخل عن تحالفها التقليدي مع الغرب، إلا أن الأخير وجد نفسه في إشكالية تحديد العلاقة مع أنقرة؛ فلا هو قادر على استيعابها عضواً كامل العضوية في الاتحاد الأوروبي لاعتبارات عديدة ثقافية واقتصادية وغيرها، وفي الوقت نفسه فإنه غير قادر على فك الارتباط بها لأسباب مختلفة، منها محوريتها في

[28] قام الأمريكيون كجزء من صفقة حل أزمة الصواريخ الكوبية 1964 بسحب منظومات صواريخ أمريكية من تركيا، وهو ما أثار غضب الأتراك الذين اعتبروا هذا كشفاً لأمنهم القومي أمام السوفييت.
[29] تخلى الأمريكيون عن الأتراك في حرب قبرص 1974 ونتج عن ذلك توتر في العلاقات استمر سنوات.

الناتو إذ هي قاعدته العسكرية المتقدمة والوحيدة في الشرق الأوسط الغني بمصادر الطاقة الهامة للمنظومة الغربية ولأمن إسرائيل؛ ولأن أهميتها تزداد نتيجة تحولها إلى ممر للطاقة إلى الغرب من أسواق آسيا الوسطى والقوقاز والشرق الأوسط وربما روسيا أيضاً.

- ويبدو أن الحل الوحيد الذي يناسب الغرب هو تغيير السلطة الحاكمة في أنقرة أو إضعافها على الأقل، وفي هذا السياق يستطيع الباحث وضع "الاختبارات" التي مرت بها البلاد بدءاً بأحداث غيزي بارك صيف 2013، ثم أحداث كانون الأول/ديسمبر 2013 المتعلقة بتهم الفساد المدعاة والتي سميت "الانقلاب القضائي"، ثم انهيار عملية السلام الكردية التركية وموجة التفجيرات 2015، وأخيراً المحاولة الانقلابية الفاشلة في تموز/يوليو 2016، التي اتهمت فيها الحكومة جماعة "الخدمة" أو ما تسميه السلطات التركية "الكيان الموازي الإرهابي"، المرتبط بالغرب بحسب الحكومة التركية.

- أثبتت التجارب السابقة استحالة إسقاط العدالة والتنمية بالطرق الديمقراطية، وفشل الخيار الانقلابي؛ وهذا ما يفتح العلاقة بينهما على احتمالات متعددة كالحروب الإعلامية والضغوط الاقتصادية أو السياسية من خلال تحريك الملف الكردي في سوريا وتركيا، وافتعال قلاقل داخلية تضعف من موقف الحكومة في الداخل وتضطرها إلى العودة إلى المربع التركي القديم.

- يبقى من الوارد الإعداد من جديد لانقلاب عسكري ثان يتلافى أخطاء الانقلاب الأول ولو بعد سنوات.

- في المقابل ينبغي على الحكومة التركية العمل على حل مشاكلها الداخلية وفي المقدمة منها الملف الكردي، ووضع استراتيجية لتطهير مؤسسات الدولة من القوى الانقلابية، ولصياغة مشروع وطني شامل وجامع بالتوافق مع القوى المعارضة.

- ينبغي على الحكومة التركية المسارعة في ترميم وتوثيق علاقاتها مع حلفاء خارج المنظومة الغربية كروسيا والصين، وعدم وضع كل أوراقها في السلة الغربية.